بسم الله الرحمن الرحيم

شرح العقيدة الواسطية

معالي الشيخ الدكتور

عبد الكريم بن عبد الله الخضير

عضو هيئة كبار العلماء

وعضو اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

تاريخ الشرح:	**1425 – 1426**	**المكان:**	**جامع الإمام محمد بن عبد الوهاب – حي السلام – الرياض**

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أتم الصلاة والتسليم، قال المؤلف –رحمه الله–: فصل، وقد دخل في ذلك: الإيمان بأنه قريبٌ مجيب كما جمع بين ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾ البقرة: ١٨٦ **الآية وقوله –صلى الله عليه وسلم–: «إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته» وما ذكر في الكتاب والسنة من قربه ومعيته لا ينافي ما ذكر من علوه وفوقيته، فإنه –سبحانه– ليس كمثله شيء في جميع نعوته، وهو عليٌّ في دنوه، قريب في علوه.**

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد: فيقول المؤلف –رحمه الله تعالى–: فصل، وقد دخل في ذلك الإشارة تعود إلى الفصل القريب أو البعيد، دخل في ذلك أي فيما ذُكر في مقدمة الرسالة من الإيمان بالله والإيمان بما أخبر به عن نفسه، أو دخل في الفصل الذي قبله مباشرة؛ لأن هذا له صلة قوية في الفصل الذي قبله في الفصل الماضي، الفصل السابق، قد ينشأ إشكال في التوفيق بين أدلة العلو وبين ما جاء في معيته –جلَّ وعلا– وأنه مع خلقه، يعني قد يُستشكل أدلة العلو، وأن الله –جلَّ وعلا– مستوٍ على عرشه بائن من خلقه، عليٌّ عليهم فوق سمواته، وأدلة العلو المتظافرة المتكاثرة تدل على هذا، ومع ذلك هو معهم **{وهو معكم أينما كنتم}**، وسبق الكلام في هذا وأنه لا اختلاف ولا اضطراب بين نصوص المعية مع نصوص العلو، ويتفرع عن هذا ما جاء من أدلة العلو مع أدلة القرب، فالله –جلَّ وعلا– قريب ومع ذلكم هو مستوٍ على عرشه، بائن من خلقه، فوق سمواته كما تقدم، فهل بين العلو والقرب تناقض؟ أو نقول مثل ما قلنا في الفصل السابق: إنه عالٍ على خلقه بائن منهم مستوٍ على عرشه، ومع ذلكم هو قريب مجيب، وأقرب من حبل الوريد، وأقرب إلى الإنسان من عنق راحلته، عرفنا التوفيق بين نصوص المعية ونصوص العلو، وأن المعية لا تقتضي المخالطة، بدليل أن القمر وهو من أصغر المخلوقات مع الناس في سفرهم وإقامتهم، ومع ذلك هو في مكانه في السماء لا يتغير مكانه، ومع ذلك هو مع المسافر مع المقيم مع القريب ومع البعيد، مع القاصي ومع الداني، وإذا كان هذا في المخلوق ففي الخالق من باب أولى، وقل مثل هذا في القرب، يقول: وقد دخل في ذلك الإيمان بأنه قريبٌ مجيب، كما جمع بين ذلك في قوله: **{وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان}**، جمع بين إيش؟ كما جمع بين ذلك بين القرب والإجابة، يعني ما جمع بين القرب والعلو يعني في الفصل السابق، جمع بين العلو والمعية، وهنا في هذا الفصل جمع بين القرب والإجابة، وهل الإشكال في القرب مع الإجابة، أو في القرب مع العلو؟ في القرب مع العلو.

الشيخ يقول -رحمه الله تعالى-: وقد دخل في ذلك الإيمان بأنه قريب مجيب، كما جمع بين ذلك في قوله: **{وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب}** فجمع بين القرب والإجابة، وفي قوله -صلى الله عليه وسلم-: «إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته» يعني هل يتصور أن الرب -جلَّ وعلا- بينه وبين عنق راحلته؟ أو أنه قرب يليق بجلاله وعظمته؟ قرب يليق بجلاله وعظمته ولا نعرف كيفيته، نفهم معناه ولا نعرف كيفيته، «إن الذين تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته»، وما ذكر في الكتاب والسنة من قربه ومعيته لا ينافي ما ذُكر من علوه وفوقيته، فإنه -سبحانه- ليس كمثله شيء في جميع نعوته، يعني لو قيل هذا بالنسبة للمخلوق تصورنا أن هذه النصوص متضادة، يعني هل يمكن أن يقال: إن زيدًا في السطح؟ وإيش يسمونه المتقدمون اللي قبل، وإيش يسمونه؟ وإن حُبس في إيش؟

طالب: .....

يسمونه خلوة عندنا هذا.

طالب: .....

الفقهاء يقولون حُبس في مطمورة، بحيث تلتبس عليه الأوقات يبينون حكمه أو لا يتمكن من طهارة لا بالماء ولا بالتيمم، هل يتصور أن الإنسان يوجد في آن واحد في مكانين؟ هذا بالنسبة للمخلوق لا يتصور، وإن كان من شطحات الصوفية أنهم يتصورون مثل هذا أنه يكون بين أهله ومع الناس في عرفة يقولون بأن الولي يستطيع ذلك، وهذا من خزعبلاتهم وشطحاتهم، المقصود أن مثل هذا المتعلق بالمخلوق يستحيل، لكن بالنسبة للخالق الذي لا تدركه الأوهام ولا تبلغه الأفهام وكلامه حق يؤيد بعضه بعضًا، ولا يُضرب بعضه ببعض، فنثبت لله -جلَّ وعلا- العلو والاستواء، ونُثبت المعية ونثبت القرب، وكل هذا على ما يليق بجلاله وعظمته، نُدرك هذه وندرك معانيها ولكن لا نفهم ولا ندرك كيفيتها، «إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته»، وما ذُكر في الكتاب والسنة من قربه ومعيته، شيخ الإسلام -رحمه الله- في هذه الرسالة ما جاء بقوله -جلَّ وعلا- **{ونحن أقرب إليه من حبل الوريد}**، وما جاء في آخر سورة الواقعة في آخر الواقعة: **{ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون}**، ما جاء بهاتين الآيتين! لماذا ما جاء بهما؟ نعم؛ لأنه يرى القرب هنا في الآيتين للملائكة؛ ولهذا شيخ الإسلام -رحمه الله- يرى أن المعية تنقسم إلى قسمين، لكن لا يرى أن القرب ينقسم إلى قسمين، يرى أن المعية -معية العلم الشامل للجميع- لا تخفى عليه خافية، لكن المعية الخاصة للخواص، بينما القرب نعم من أهل العلم من يقول مثل المعية ينقسم إلى قسمين، وشيخ الإسلام -رحمه الله- يرى أن القرب لا يكون إلا من الخواص، قربه -جلَّ وعلا- من الخواص؛ ولذلك لم يورد الآيتين؛ لأنه قرب الملائكة.

{ولكن لا تبصرون}؛ لأن القريب هذا يمكن أن يبصَر الملائكة، يمكن أن يُبصَروا، وقد رآهم بعض الصحابة رأى جبريل بعض الصحابة فيمكن أن يبصر؛ ولذلك قال: **{ولكن لا تبصرون}**

فدل على أن هذا يمكن أن يبصر وما يمكن أن يبصر الله -جلَّ وعلا- لا يمكن أن يرى في الدنيا، فهذا الذي يمكن أن يبصر دليل على أن المراد **{ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون}** المراد به الملائكة الذين أمروا بقبض روحه، وكذلك في قوله -جلَّ وعلا-: **{ونحن أقرب إليه من حب الوريد}** هذا قرب المراد به الملائكة، **{وإذا سألك عبادي عني فإني قريب}** هل يتصور أن هذا في حق الملائكة؟ لا يتصور، **{فإني قريب أجيب}** فهذا يتعين أن يكون القريب هو الله -جلَّ وعلا- «إن الذين تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته» هذا قاله النبي -عليه الصلاة والسلام- لأصحابه لما رفعوا أصواتهم بالدعاء «أيها الناس اِربَعوا على أنفسكم»، وهذا تقدم، «فإنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبًا، إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته»، وهل معنى هذا أن الله -جلَّ وعلا- بين الإنسان بين الراكب وبين عنق راحلته؟ لا يتصور هذا، بل هو على عرشه بائن من خلقه وقربه يليق بجلاله وعظمته، وما ذكر في الكتاب والسنة من قربه ومعيته؛ من قربه الذي ذُكر في هذا الفصل ومعيته الذي ذُكر في الفصل السابق، لا ينافي ما ذُكر من علوه وفوقيته، إذا كان النزول لا يقتضي مفارقة العرش فلئن لا تقتضي المعية، والقرب من باب أولى لا ينافي ما ذُكر من علوه وفوقيته، فإنه -سبحانه- ليس كمثله شيء، يعني إذا تصورنا أن المخلوق لا يمكن أن يحصل منه هذا، فإن الله -جلَّ وعلا- ليس كمثله شيء، لا يقاس أن يقاس بمخلوق أو ينظر بمخلوق، ليس كمثله شيء في جميع نعوته.

وهو عليٌّ في دنوه، يعني صفة العلو ثابتة له، مع أنه قريب قريب في علوه، فلا تناقض بين هذا وهذا، وكله قد جاء عن الله وعن رسوله بما صح عن النبي -عليه الصلاة والسلام-، ولا يمكن أن ينقض كلام الله وكلام رسوله بعضه بعضًا، الفصل الذي يليه.

طالب: .....

إيه هو في هذه الآية التي ذكرها لا يدخل، وفي الحديث الذي ذكره لا يدخل، لكن في الآيتين في آية (ق) وآية (الواقعة) يدخل فيهما جميع الأصناف؛ ولذا يذهب جمع من أهل العلم إلى أن القرب خاص وعام مثل المعية، ويجعل المتكلم في **{نحن}** هو الله -جلَّ وعلا-، ويكون هناك قرب عام وقرب خاص كالمعية، وشيخ الإسلام يرى أنه قرب خاص فقط بخلاف المعية؛ ولذا لا يدخل الآيتين في مثل هذا الفصل؛ لأنهما ليس من آيات القرب الإلهي، وإنما هو قرب ملائكة الذين كُلِّفوا بقبض الروح.

طالب: .....

القرب يكون معناه قريب من المعية الخاصة لا أقول مرادف؛ لأن الترادف في مثل هذا مع تباين المعاني اختلاف المعاني ما يقال بالترادف.

طالب: .....

يعني الضمائر، هل يكون مساقها واحد أو بعضها لله وبعضها للملائكة؟ لا شك أن الأصل إذا لم يمنع منه مانع أن الضمائر المتناسقة مرجعها واحد؛ ولذا جمع من أهل التحقيق يرون أن الآيتين في قرب الله -جلَّ وعلا- والأصل أن الله -جلَّ وعلا- إذا قال في كتابه: نحن، فإنه يريد نفسه -جلَّ وعلا-؛ ولذا القول الثاني فيه قوة.

طالب: .....

لكن الضمائر السابقة كلها لله -جلَّ وعلا- معروف هذا كلام شيخ الإسلام هو الأصل يبقى أنه هو الأصل، لكن القول الثاني أيضًا له حظ من النظر.

قال رحمنا الله وإياه: ومن الإيمان بالله وكتبه: الإيمان بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، وأن الله تكلم به حقيقة، وأن هذا القرآن الذي أنزله على محمد -صلى الله عليه وسلم- هو كلام الله حقيقة لا كلام غيره، ولا يجوز إطلاق القول بأنه حكاية عن كلام الله أو عبارة، بل إذا قرأه الناس أو كتبوه في المصاحف لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله -تعالى- حقيقة فإن الكلام، إنما يضاف حقيقة إلى من قاله مبتدئًا لا إلى من قاله مبلغًا مؤديًا. وهو كلام الله، حروفه ومعانيه، ليس كلام الله الحروف دون المعاني ولا المعاني دون الحروف.

-أسئلة خارجة عن الموضوع بعضها في الحديث وبعضها في الصلاة..-

اللهم صلِّ وسلم على عبدك ورسولك.